

أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، تفتحت عيناه على الحياة في الوقت الذي كانت الدولة الأموية تغمس فيه عينيه ، ولمعت أمام عينيه بغداد التي كانت تتألق بأضوائهما ، وشد أبو العتاهية رحاله إلى بغداد، فاتصل بالمهدي ثم بابنه الهادي من بعده . وقد سلك أبو العتاهية في عرض آرائه في مشكلة المصير خطأً منتظمًا مستقيماً فهو يعرض لكل ما يمكن أن يخطر على ذهن من يبحث في هذه المشكلة : ما الحياة ؟ وما سر حب الإنسان لها على الرغم من فنائها وزوالها ؟ وما الموت ؟ وماذا بعد الموت ؟ ثم ما الوسيلة التي يستطيع الإنسان أن ينجو بها من شقاء الدنيا ليصل إلى السعادة في الآخرة ؟ وما المشكلات التي يقابلها الإنسان في حياته ؟ وما الرأي فيها ؟ وما مشكلة الخير والشر ؟ وما مشكلة الصداقة والصديق ؟ أو – بعبارة أخرى – ما مشكلة هذه الحياة التي نحيها ، والتي ستنتفارقها في يوم من الأيام في رحلة طويلة رهيبة تنتهي بنا إلى الجنة أو إلى النار ؟ هذه هي المشاكل التي شغلت ذهن أبي العتاهية وملاط عليه تفكيره ، أراك وإن طلبت بكل وجه كحلم النوم أو ظل السحاب أو الأمس الذي ولـي ذهابا وليس يعود أو لمع الشراب الو ترى الدنيا بعيني بصير إنما الدنيا تحاكي السرابا إنما الدنيا كفى تولي وكما عاينت فيه الصبابا إنما الدنيا غرور كلها مثل لمع الآل في الأرض القفاز والدنيا – في حقيقة أمرها ، وصيحة الفرح بمولود تفتح عيناه للحياة بصيحة الحزن على ميت يغمض عينيه عنها ، فكـرت في الدنيا وجـدتـها فإذا جـمـيعـ جـدـيدـها يـبـلىـ وإذا جـمـيعـ أـمـورـها دـوـلـ بينـ البرـيةـ قـلـماـ تـبـقـىـ وـلـقـدـ مـرـرـتـ عـلـىـ الـقـبـورـ فـمـاـ مـيـزـتـ بـيـنـ الـعـبـدـ وـالـمـوـلـىـ مـاـ زـالـتـ الدـنـيـاـ مـنـفـصـةـ لـمـ يـخـلـ صـاحـبـهاـ مـنـ الـبـلـوـيـ دـارـ الـفـجـائـعـ وـالـهـمـومـ وـدارـ الـبـؤـسـ وـالـأـحزـانـ وـالـشـكـوـيـ بـيـنـ الـفـتـىـ فـيـهـ بـيـنـ الـمـنـزـلـةـ إـذـ صـارـ تـرـابـهاـ مـلـقـيـ تـقـهـوـ مـسـاوـيـهاـ مـحـاسـتـهاـ لـاـ شـيـءـ بـيـنـ النـعـيـ وـالـبـشـريـ وـلـمـلـ يـوـمـ درـ شـارـهـ إـلـاـ سـمـعـتـ بـهـالـكـ يـُنـمـيـ أـتـرـاكـ تـخـصـيـ مـنـ رـأـيـتـ مـنـ الـأـحـيـاءـ ثـمـ رـأـيـتـهـ مـؤـتـىـ وـمـهـماـ تـخـتـلـ الـأـيـامـ بـالـنـاسـ فـإـنـ النـهـاـيـةـ لـلـجـمـيعـ دـائـمـاـ وـاحـدـةـ ، وـأـنـ يـفـكـرـ فـيـهـ أـيـنـ مـضـتـ ؟ـ وـأـيـنـ اـنـتـهـيـ بـهـاـ الـمـصـيـرـ ؟ـ بـلـ حـسـبـهـ أـنـ يـفـكـرـ فـيـ آـبـائـهـ وـآـبـاءـ آـبـائـهـ حـتـىـ آـدـمـ أـيـنـ مـضـواـ ؟ـ وـإـلـىـ آـيـنـ اـنـتـهـتـ بـهـمـ الـحـيـاةـ ؟ـ يـاـ نـفـسـ أـيـنـ أـبـيـ وـأـيـنـ أـبـوـ أـبـيـ وـأـبـوهـ عـدـىـ لـاـ أـبـالـكـ وـاحـسـبـيـ عـلـىـ إـنـانـيـ قدـ نـظـرـتـ فـلـمـ أـجـدـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ أـبـيـكـ آـدـمـ مـنـ أـبـ قدـ مـاتـ مـاـ بـيـنـ الـجـنـينـ إـلـىـ الرـضـيـعـ إـلـىـ الـفـطـيـمـ إـلـىـ الـكـبـيرـ الـأـشـيـبـ وـكـمـ خـلـقـنـاـ مـنـ التـرـابـ سـنـصـيـرـ إـلـىـ التـرـابـ ، وـأـهـمـ عـلـمـ فـنـيـ قـامـ بـهـ أـبـوـ العـتـاهـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ أـرـجـوـتـهـ الـمـزـدـوـجـةـ الـتـيـ سـمـاـهـ ذـاـتـ الـأـمـثـالـ ، وـمـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ تـرـىـ فـيـ هـذـهـ الـأـرـجـوـزـةـ دـسـتـورـ النـفـسـ الـخـيـرـةـ وـالـحـيـاةـ الـفـاضـلـةـ يـسـجـلـ فـيـهـ أـبـوـ العـتـاهـيـةـ كـلـ مـاـ وـصـلـ إـلـيـهـ مـنـ آـرـاءـ فـيـ النـفـسـ وـالـحـيـاةـ ، وـهـيـ تـشـبـهـ مـنـ بـعـضـ جـوـانـبـهـ الـابـتـهـالـاتـ الصـوـفـيـةـ الـتـيـ يـنـاجـيـ بـهـاـ الصـوـفـيـةـ اللـهـ .ـ عـلـىـ نـحوـ مـانـرـيـ فـيـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ :ـ كـلـ اـمـرـئـ فـكـمـ يـدـيـنـ يـُدـيـانـ سـبـحـانـ مـنـ لـمـ يـخـلـ مـنـهـ مـكـانـ سـبـحـانـ مـنـ يـعـطـيـ الـمـنـىـ بـخـواـطـرـ فـيـ النـفـسـ لـمـ يـنـطـقـ بـهـ لـسـانـ سـبـحـانـ مـنـ لـاـشـيـ يـجـبـ عـلـمـهـ فـالـسـرـ أـجـمـعـ عـنـدـ إـعـلـانـ سـبـحـانـ مـنـ هـوـ لـاـيـزـالـ مـسـبـحاـ أـبـداـ وـلـيـسـ لـغـيـرـهـ السـبـحـانـ سـبـحـانـ مـنـ تـجـرـىـ قـضـيـاـهـ عـلـىـ مـاـشـاءـ مـنـهـ غـائـبـ وـعـيـانـ وـوـصـفـهـ اـبـنـ قـتـيـبـةـ بـأـنـهـ «ـ مـمـنـ يـكـادـ يـكـونـ كـلـامـهـ كـلـهـ شـعـراـ ، وـمـنـ هـنـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـصـفـ الـعـلـمـ الـفـنـيـ عـنـدـ أـبـيـ الـعـتـاهـيـةـ بـأـنـهـ كـانـ فـيـ بـعـضـ جـوـانـبـهـ تـرـجـمـةـ شـعـرـيـةـ يـتـرـجـمـ فـيـهـ الشـرـ إـلـىـ شـعـرـ .ـ إـذـاـ كـانـ مـوـضـعـ الـشـعـرـ الـزـهـدـ – وـاـشـعـ الناسـ بـهـ الـعـامـةـ – تـحـتـمـ عـلـىـ الشـاعـرـ أـنـ يـجـعـلـ مـنـ أـسـلـوـبـهـ أـسـلـوـبـهـ شـعـبـيـاـ قـرـيبـاـ إـلـىـ نـفـوسـهـ .ـ